(ليلة خير من ألف شهر)

الحمد لله الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ، لا إله غيره ولامعبود سواه...نحمده سبحانه وتعالى ونشكره...ونشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له القائل : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) .

ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله القائل : (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)

اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعد فيقول الله تعالى : (حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْراً مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) .

عباد الله المؤمنين : فلو أن إنسانًا يعمل بألف $ فى الشهر وخير بأن يعمل عشرة أيام براتب ألف شهر ثم رفض ذلك الطلب فبماذا تحكمون عليه ؟ لاشك أننا سنحكم عليه بالنقص في العقل والتدبير ، فالله عز وجلّ لكمال حِكْمته وقُدرته ، ولتمام علمه وإحاطته يختار من خلقه من يشاء قال تعالى : (اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النّاسِ إِنّ اللهَّ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) وله أن يختار ما يشاء من الأوقات والأمكنة فيخصها بمزيد من الفضل والإنعام والإكرام فلله الأمر من قبل ومن بعد ، يقضي في خلقه بما يشاء ويحكم فيهم بما يريد ، وإن مما خصَّ الله به من الأوقات : ليالى العشر الأواخر من رمضان حيث فضَّلها على سائر الليالي ، وخص من هذه الليالى ليلة القدر حيث أعلى شأنها ، ورفع مكانتها عندما أنزل فيها وحيه المبين وكلامه الكريم هدًى ورحمة ونورًا للمتقين قال تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) فما أعظمها من ليلة وما أكرمها ليلة واحدة ياعباد الله خير من ألف شهر ؟ عبادة ليلة واحدة خير من عبادة ثلاثة وثمانين عامًا ، فلوعاش المسلم ثلاثة وثمانين عامًا فهذا عمر طويل لو قضاه المسلم في طاعة الله...ومع ذلك فليلة القدر وهي ليلة واحدة خير من هذا العمر الطويل وهذا فضل عظيم ، والسبب فى إعطائها لأمة محمد صلى الله عليه وسلم : أنه ذكر لرسول الله أن رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم مهمومًا لأن أمته قصيرة الأعمار قليلة الأعمال فدعا ربّه وقال : (يارب جعلت أمتي أقصر الأمم أعمارًا وأقلّها أعمالاً) فأعطاه الله ليلة القدر خير من جهاد هذا الرجل فى ألف شهر ولكن ما الحكمة من إخفاء ليلة القدر ؟ لأن الله أخفى أمورًا فى أمور لحكم جليلة لكي يجتهد العباد في العبادات وفي الطاعات فقال صلى الله عليه وسلم : (إن لله في أيام دهركم نفحات ألا فتَعرَّضوا لها فلعلّ أحدكم تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها) فأخفى الله ليلة القدر في ليالي رمضان ليجتهد الصائمون في كل لياليه، وأخفى الله ساعة الإجابة في يوم الجمعة لندعوه فى اليوم كله ، وأخفى الله الصلاةَ الوسطىٰ في الصلوات الخمس لنحافظ على كل الصلوات ، وأخفى الله اسمَه الأعظم لندعوه بكل أسمائه الحسنى ، وأخفى الله وَلِيَّهُ في عباده الصالحين لنحسن الظن بجميع الصالحين وأخفى الله يوم القيامة ليكون العباد في خوف واستعداد دائم ، وأخفى الله عن الإنسان أجله ليكون الإنسان دائمًا في خوف من حساب ربه ، وفي هذه الليلة الكريمة يكثر تنزل الملائكة...فالملائكة دائما يتنزَّلون...قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ ...) ويقول صلى الله عليه وسلم : (يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ وَصَلاَةِ العَصْرِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمُ ربهم وَهُوَأَعْلَمُ بِهِمْ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي ؟ فَيَقُولُونَ : أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَتَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ) فهم يتنزلون عند تلاوة القرآن الكريم ، وفي حِلَق الذكر ، وفي هذه الليلة الكريمة المباركة (يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) أي : يقدر الله فيها ما يكون في السنة القادمة كلها

من خير أو شر ، فهل يستوى فى هذه الليلة القائمون الراكعون الساجدون بالكسالى الخاملين عند تقدير الأمور لهم ؟ لايستويان أبدا فالله قدر تقديرا عاما في اللوح المحفوظ فهو متقدم على خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وهذا التقدير ثابت فى حق الكسالى الخاملين ، أما العاملون فيغير الله لهم ما فى اللوح المحفوظ بناء على أعمالهم الصالحة وإلا ما قال ربنا : (يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) ويقول تعالى : (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) ويقول صلى الله عليه وسلم : (لاَ يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلاَّ الدُّعَاءُ وَلاَ يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلاَّ الْبِرُّ) فهي ليلة عظيمة إذا قامها المسلم أثبت الله له أمورا من الخير ومحى عنه أخرى من الشر وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل ليلة القدر أنه قال : (من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه) ويقول : (تحرَّوا ليلة القدرفي العشرالأواخر من شهررمضان) وأرجى ليلة من تلك الليالي : هي ليلة السابع والعشرين لقول كثير من الصحابة : إنها ليلة السابع والعشرين منهم ابن عباس وأُبَيّ بن كعب وغيرهما لشواهد كثيرة من الكون والإنسان : فالسماوات سبع والأرض سبع ، وخلق الإنسان من سبع ، وقد ذكرت ليلة القدر فى السورة ثلاث مرات وعدد حروفها تسعة حروف فثلاثة مضروبة فى تسعة يكون الناتج : 27 ، وسورة القدر ثلاثون كلمة..كلمة هي رقم : 27 ، والحكمة من إخفائها وعدم تعيينها لأن الناس لوعلموا عينها لاقتصروا على قيامها فقط ، وإن الواجب علينا أن نحرص على طلبها فى ليالي العشر كلها لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعينها فى ليلة بعينها فعن أبي بكرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (التمسوها في تسع بقين ، أو سبع بقين ، أو خمس بقين ، أو ثلاث بقين أو آخر ليلة) فمن لم يربح في هذه الليلة الكريمة ففي أي وقت يربح ؟ ومن لم يتب إلى الله في هذا الوقت المبارك فمتى يتوب ؟ فأكثروا معشرالمسلمين من التوبة والإستغفار وتلاوة القرآن الكريم فيما بقي من هذه الليالى واغتنموها بصالح الأعمال خاصة صدقة الفطر فأقلها 10$ عن كل فرد فى الأسرة سواء كان صائما أم لا...فصدقة الفطر جعلها الله طهرة للصائم فى المقام الأول ، ثم بعد ذلك طعمة للمساكين ، ويستحب للمسلم أن يكثر فيها من الدعاء لأن الدعاء فيها مستجاب ، وليتخير من الدّعاء أجمعه فعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت : يارسول الله...أرأيت إن علمت ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال : (قولي : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عنِّي) فإن هذا الدعاء مناسب لهذه الليلة غاية المناسبة ، لماذا ؟ لأنها الليلة التي يقدر فيها أعمال العباد لسنة كاملة من خير أو شر ، فمن أعطي في تلك الليلة العافية في الدنيا وفي الآخرة فقد أفلح ، فالعافية لايعدلها شيء فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه قال قلت : يارسول الله...علمني شيئًا أسأله الله فقال : (سل الله العافية) فكأنه استقلها...فيقول : فمكثت أياما ثم جئت ، فقلت : يارسول الله علمني شيئًا أسأله الله فقال لي (ياعبَّاس يا عمّ رسول الله سل الله العافية في الدنيا والآخرة) فأكثروا ياعباد الله من سؤال الله العفو والعافية ولاسيَّما في الليالى الباقية من رمضان ، واعلموا أن الله تبارك وتعالى يحب العفو ويدعو عباده إليه قال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) فاللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنَّا عدد خلقك ، ورضا نفسك ، وزنة عرشك ، ومداد كلماتك ، وعن جبير بن مُطْعَم أَنَّهُ كان جَالسًا مع ابن عمر فقال : سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقولُ فِي دُعائِهِ حينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي لَمْ يَدَعْهُ حَتَّى فَارقَ الدُّنْيا : (اللَّهُمَّ إِنِّي أسألُكَ الْعَفْوَ والعافِيَة في ديني وَدُنْيَاي ، وَأَهْلِي ، وَمَالي ، اللَّهُمَّ اسْتُر عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي ، واحْفَظْنِي مِنْ بَيْنَ يَدَيَّ ، وَمِنْ خَلْفِي ، وَعَنْ يَميني وَعَنْ شِمَالِي ، وَمِنْ فَوْقِي ، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي) مَعْنَى أُغْتَالَ قالَ جُبَيْر : هُوَ الخَسْفُ .

وقال صلى الله عليه وسلم :

(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)